كيف أكون مسيحيًّا؟
بحسب فكر القدّيس باسيليوس الكبير

مضمون الجزء الثّالث

- في الطّاعة:
  - أ- حفظ الوصايا
  - ب- العمل
- في العفّة:
  1- الصّوم
  2- الصّلاة
- خاتمة الجزء الثّالث

في الطّاعة

- ينطلق القدّيس باسيليوس بموضوع الطاعة مِن نقطتَيْن أساسيَّتَيْن نتطرّقُ إليهما: حفظ الوصايا والعمل.
- **أ- حفظ الوصايا:**

بالنسبةِ للطّاعة وَحفظ الوصايا والتعلُّم، ينطلق قدّيسنا، في لاهوته، مِن خبرَتِه الروحيّة في الرّهبنة. فتكون "الطاعة للتعليم" أولى علامات محبّة الله من جهة، وَ"لِقانون رهبنته" من جهةٍ ثانيَة.

- شدَّدَ في تعليمه على حفظ الوصايا كامِلةً مِن دونِ نقصان ومن دون إعطاء أهمية لِوصية على حساب الأُخرى، ويستشهِد بقول السيِّد المسيح: "علِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتُكم به"، لأنَّ الوصايا كُلَّها مجتمعة هي ضرورية للخلاص.

- كما ربط القدّيس باسيليوس حفظ الوصايا بضرورة تعليمها لنا وتطبيقها في حياتنا، "فما نفع أن نحفظ الوصايا من دون أن نعملَ بِها؟"

- **ب- العمل:**

انطلقَ القدّيس باسيليوس بالواجِب الَّذي شعرَ أنهُ منوط بهِ فأوضَحَ بأنّه يجب على الإنسان، طالما هوَ على قيدِ الحياة، أن يُقدِّس نفسه مِن خلال العمل لأنَّ عملهُ سيُعطي نتيجةً، هذه النتيجة ستُسعِف اخوتهُ المحتاجين ماديًّا كان أم روحيًا.

"لقد جعتُ فأطعمتموني وعطشتُ فسقيتموني" (متى 34:25)

- لا عذر للكسلان الَّذي يعيش في بطالة دائِمة وربّما المقصود هنا البطالة الروحيّة. بمعنى آخر، الإبتعاد الدائِم أو التغرُّب عن الله، فحيثُ تكثر البطالة تكثُر الخطيئة.

العفّة

- اتّجه القدّيس باسيلوس في حياتِه نحوَ العفّة وَوجَّهَها في اتّجاهَيْن متوازيَيْن: اتّجاه الصّلاة واتّجاه الصوم. فقد تميّزت سيرة القدّيس بالعفّة الكامِلة والطّهارة السّماويّة وأعطانا في لاهوته قاعِدة عنوانها "تَحلَّ أيُّها الإنسان بالطّهارة وَعفِّف جسدَك بالصَّوم والصَّلاة تَخلُص".
- العفّة هي بَنت السّماء وكِبار القدّيسين الَّذين جُرِّبوا بهذا الشّيء، الفضيلة لا تكتمِل إلا بالعفّة، وما أجملَ الإنسانَ الَّذي يطلُب هذه النِّعمة لأنّها تُخيفُ الشيطان ولا تَكتمِل إلا بالصّوم الَّذي بِواسطتِه ندخُل المَلكوت. يجب التّعامُل مع جسدنا على أنّه جسدٌ مُقدَّسٌ يسكُنه الله.

الصّوم: "الصّوم خُلوَةٌ مع الله"

- يؤكِّد القدّيس أنَّ الصّوم لا يعني ترك الطعام الضّروري لمتابعة الحياة بل الابتعاد عن المأكولات الّتي تُسبِّب الشهوةَ واللّذة وتَمَرُّدَ الجسد.
- الصّائِم الحقيقيّ هوَ الَّذي يدخُل إلى ذاتِه ليرى أين يسكُن الله فيه، والَّذي يَلجُم لِسانَه وأفكارَه عن الخطيئة هوَ الَّذي يتغرَّب ويبعُد عن فِعل الشرّ وينسى آلامَه الجسديّة حُبًا بالمسيح وليخلِّص مِن خلال صومه النّفوس الهالِكة البعيدة عن الملكوت فيتَّحِد بصومِه مع صوم الكنيسة ويَرتفِع إلى السّماء للاتّحاد بالله.

الصّلاة: "حياةُ الإنسان صلاةٌ دائمة"

- الصّلاة في نظر القدّيس هي حوار أو فعل تقوم به النّفس مع الله وتطلُب منه الخير لها. فبِنَظر القدّيس الصّلاة هي التحامٌ بالله في كُلّ دقائق الحياة.
- ليسَ من الضّروري على المُصلّي أن يُتمتِم كلمات كثيرة بل يستطيع أن تكون سيرة حياته في عيشها صلاة بحدّ ذاتها.
- التّأمُّل في الكون، الكواكب، الخلق العظيم وفي سرّ الله هو صلاة دائِمة. مرتا مرتا..."، لأنَّ الحاجة إلى واحِد فقط وهوَ يسوع المسيح.

- الإنسانُ الَّذي يُصلّي حقيقةً يقِفُ أمامَ الله كما في يوم الدّينونةِ يَستبِق يوم الحِساب، الصلاة إلى يسوع تصرُخ إلينا قائِلةً:

تعالوا إليَّ يا جميع المُتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحُكم"، احملوا نيري عليكم ... فتجدوا راحةً لنفوسِكم، لأنَّ نيري هيِّن وحملي خفيف" (متى11: 28-30).

- بالصلاة يخرُج الإنسان من ذاتِه، من وِحدَته، من ضجره ومن عدَميّته ليكتَسِب هدوءًا وسلامًا في نفسه وفي أفكارِه.

- الصّلاة النّقيّة تقودنا إلى الرّؤيا السّليمة وهي كمال نعمة الله، فمع الصّلاة الصّادقة يُصبِح فكرنا فكر المسيح* " فَليكن فيكم هذا الفِكر الَّذي في المسيح يسوع أيضًا" (فل 5:2)، ولا يحكُم فيه أحد "وأمّا الروحيّ فيحكُم في كُلّ شيء وهوَ لا يحكُم فيه مِن أحد" (1كور 15:2).

*- من نشرة الكرمة الصّادِرة عن مطرانية طرابلس والكورة، الأحد في 18 كانون الأول 2011، العدد 51

خاتمة الجزء الثّالث

- ليسَ مِن السهلِ أن نعيشَ الطّاعة في عالَم مليء بالمغرَيات، الأوهام، الشّهوات، المال، الغِنى والمقتنيات ونلتزم عيش حياة ملؤها الله أيّ طاعة كلّ ما نتعلّمه من الكتاب المقدّس وما توصينا به الكنيسة فنترفّع عن الأمور الدنيويّة.

تتطلّب الطّاعة التّواضُع، أوّلاً في حياتِنا اليوميّة وفي كُل تحرُّكاتِنا، كما تَتطلَّب أيْضًا قُبول كَلمة الله بِفَرحٍ وَسرور وَالعمل عليها. الكِتاب المقدّس تحدَّث عن الطّاعة فالمسيح أطاعَ الآب "إذ أخلى ذاتَهُ آخِذًا صورة عبدٍ لمّا صارَ في شبه الناس، وظهرَ في مظهرِ إنسانٍ، وضعَ ذاتهُ، وصارَ مُطيعًا حتى الموت" (فل2: 6-8).

- بالنسبة لموضوع العفّة فهوَ موضوع شائِك وكبير وخطير في رعايانا كما نشهده اليوم، يتداخل فيه العِلم مع المنطق والعقل، يدخُل فيه عامِل المال وعوامِل أخرى خطيرة تحثُّ شبابَنا وشاباتِنا اليوم على فهم أنَّ العفّة والطهارة هما موضوعان مِن العصر الماضي.

طبعًا نحن لا ننكُر أنَّ هذه الطاقةَ الموجودة داخِل أجسادنا أوجدها الله، لكن، لاستخدامها في المكان الصحيح ضمن إطار الزواج.

إذًا، علينا أن نُحافِظ على أجسادِنا بتدريبها لتكون صالِحةً كما يُريدها الربّ وذلك عَبر الصّوم والصّلاة.

- **المراجِع والمصادر:**

كافَّة المراجِع والمصادر المذكورة في الجزء الأوّل مِن الدِّراسة هي جمع لكافّة المراجِع المُستَخدمة في الدِّراسة.

إعداد: أندريه نصّور